

الفصل السادس  
دراسة بعض نصوص الشعر الجاهلي

obbeikandi.com

## الفصل السادس

### دراسة بعض نصوص الشعر الجاهلي

1- عنتره بن شداد ودراسة معلقته "هل غادر الشعراء من مترد":

هو عنتره بن شداد. وقيل عنتره بن عمرو بن شداد. وقيل عنتره بن

شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد.

وقال البغدادي: ابن قرادة بن مخزوم بن ربيعة.

وقيل مخزوم بن عوف ... بن عيس ... بن عيلان بن مضر.

وهو أحد شعراء العرب وفرسانهم وأبطالهم المشهورين، ومن

أصحاب المملكات. حضر حرب داحس والغبراء وحسن فيها بلاؤه. وعاش

طويلاً، حتى كبر ومات سنة 615م تقريباً.

وقد عشق "عبلة" ابنة عمه وكان ذلك قبل أن يحرر ويعترف أبوه

ببنوته، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد، فحفضه ذلك وهاج من

شاعريته.

وعدة صاحب الجمهرة ثانی أصحاب المجمعرات.

وذكره أبو عبيدة في الطبعة الثالثة من الشعراء. وهو أحد أغربة

الجاهلية.

وقال صاحب الأغاني: هم عنتره وأمه زبيبة، وخفاف وأمة ندبة،

والسليك وأمه السلركة. وإليه ينسبون. وأغربة العرب سودانهم.

وكان أبوه نفاه واستبعده على عادة العرب مع أبناء الإماء. فإنهم

يستبعدونهم إلا إذا ظهرت عليهم الشجاعة والنجابة، وكان أخوته من

أمه عبيداً.

وكانت امرأة أبيه واسمها سمية حرّضت عليه أباه، وادعت إنه راودها عن نفسها، فغضب أبوه وضربه ضرباً شديداً حتى كاد أن يقتله فوقع عليه سمية المذكورة ومنعت شداد من قتله. فقال فائتته التي أولها :

أمن سمية دمع العين مزروف      لو أن ذا منك قبل اليوم معروف<sup>(1)</sup>

اعتراف أبيه به :

وسبب اعتراف أبيه به، أن بعض أحياء العرب أغاروا على بنى عبس، فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا لهم، فلحقوا بهم فقاتلهم عما معهم، وعترة يومئذ فيهم، فقال أبوه كريا عترة، فقال عترة العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلب والصر، فقال كريا وأنت حر، فكر وهو يقول :

أنا الهجين عترة      كل امرئ يحمى حره  
أسوده وأحمـره      والواردات مسـفره

فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه، وقيل أن السبب في استلحاقه إياه أن عبساً أغاروا على طيء، وأصابوه نعماً. فلما أرادوا القسمة، قالوا لعترة لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبتنا، لأنك عبد. فلما طال الخطب بينهم، كرت عليهم طيء فاعتزلهم عترة، وقال دونكم القوم فإنكم عمدهم، واستفذت طيء الإبل فقال له أبوه كريا عترة، فقال أويحسن العبد الكر، فقال له أبوه العبد غيرك، فاعترف به، فكر واستفذ الإبل من

(1) أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري، ج2/145، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الثانية، 1401هـ/1980م.

طئ وجعل يرتجز بالرجز المتقدم.

- شجاعته :

روى أن عمرو بن معد يكرب، وكان معاصراً له، قال لو سرت بظفينة وحدى على مياه معد كلها، ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقي حراها أو عبداها، فأما الحران: فعامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب. وأما العبدان فأسود بنى عبس يعنى عنتره والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت، فأما عامر بن الطفيل فسريع الطعن على الصوت، وأما عتيبة فأول الخيل إذا أغارت، وآخرها إذا آبت، وأما عنتره فقليل الكبوة، شديد الجلب، وأما السليك فبعيد، الغارة كالليث الضاري.

وقيل لعنتره أنت أشعر العرب وأشدّها، قال: لا، قيل له فيم شاع لك هذا فى الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا، ولا أدخل موضعاً إلا أرى لى منه مخرجاً، وكنت أعمد الضعيف الجبان، فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع فأثى عليه فأقتله.

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - للحطيئة: كيف كنتم فى حريكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم، وقال كيف يكون ذلك؟ قال: كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً، فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنتره، فكنا نحمل إذا حمل، ونحجم إذا أحجم، وكان فينا الربيع بن زياد، وكان ذا رأى، فكنا نستشيره ولا نخالفه، وكان فينا

عروة بن الورد، فكنا نأتم بشعره، فكنا كما وصفت لك، فقال عمر صدقت.

وروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ما وصف لي إعرابي فأحببت أن أراه إلا عنترة.

- وفاته :

اختلف في سبب موته، فقيل إنه أغار على بنى نبهان من طيء فأطرد لهم طريدة، وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول :  
آثار ظلمان بقاع مجذب

وكان وزير بن جابر النبھاني في فتوته فرماه، وقال خذها وأنا ابن سلمى، فقطع معطاه، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح :

وإن ابن سلمى عنده فاعلموا دمي

وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

إذا ما تمشى بين أجمال طيء مكان الثريا ليس بالمتهضم

رمانى ولم يدهش بأزرق لهذم عشية حلوا بين نعف ومخرم

وقيل إنه في غزوته إلى طيء هذه. كان مع قومه، فانهزموا عنه فخر عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب. فدخل دغلاً وأبصره ربيثة طيء، فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه فقتله.

وقيل إنه كان قد أسن وافتقر وعجز عن الغارات، وكان له دين على رجل من غطفان فخرج يتقاضاه، فهاجت عليه ريح شديدة في يوم

صائف بين شرح وناظرة فقتلته<sup>(1)</sup>.

### سبب قوله المعلقة :

جلس عنتره يوماً فى مجلس بعدما كان قد أبلى واعترف به أبوه وأعتقه فسأبه رجل من بنى عبس وذكر سواده وأخوته. فسببه عنتره وفخر عليه وقال فيما قال له: إني لأحضر البأس، وأوفى المغنم، وأعف عند المسألة، وأجود بما ملكت يدي، وأفضل الخطبة الصماء.

قال له الرجل: أنا أشعر منك. قال: ستعلم ذلك. فقال عنتره

يذكر قتل معاوية بن نزال. وهى أول كلمة قالها. (وهى المعروفة بالمعلقة).

1. هل غادر الشعراء من مُتَزَدَم
  2. أعياك رسم الدار لم يتكلم
  3. ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي
  4. يا دَارَ عِبلَةَ بالجِواءِ تكلمي
  5. دار لآتسة غضبيض طرفها
  6. فوقفت فيها ناقتي وكأنها
  7. وتحل عيلة بالجِواءِ وأهلنا
  8. حيئت من طللٍ تقادم عهده
  9. حلت بأرض الزائرين فأصبحت
  10. غلقتُها عَرْضاً وأقتل قومها
  11. ولقد نزلت فلا تظنى غيره
  12. كيف المزار وقد تربع أهلها
  13. إن كنت أزمعت الفراق فإنما
  14. ما راعنى إلا حمولة أهلها
  15. فيها اثنتان وأربعون حلوبة
- أم هل عرفت الدار بعد توةُم  
حتى تكلم كالأصم الأعجم  
أشكو إلى سفع رواكد جثم  
وعمى صباحاً دار عيلة واسلمى  
طوع العناق لذيدة المتبسم  
فدن لأقضى حاجة المتلوم  
بالحزن فالصمان فالمتثلّم  
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم  
عسراً على طلابك ابنة مخرم  
زِعماً لعمر أبيك ليس بمزعم  
منى بمنزلة المحب المكرم  
بِغِيْرَتَيْنِ وأهلنا بالغيلم  
زُمت ركابكم بليل مظلم  
وسط الديار تسف حبّ الخمخ  
سوداً كخافية الغراب الأسحم

(1) راجع شرح المعلقات العشر للشنقيطى، ص44: 47.

عَذِبَ مُقْبَهُ لذيذِ المَطْعَمِ  
رِشاً مِنَ العِزْلانِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
سَبَقَتْ عوارِضُها إِلَيْكَ مِنَ الفمِ  
غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ  
فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرارةِ كالدَّرهمِ  
يَجْرِي عَلَيْها المِاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ  
عَرِدْاً كَفَعَلَ الشَّارِبِ المِتْرانِ  
قَدَحِ المَكْبِ عَلَى الزَّنادِ الأَجْذَمِ  
وأبَيْتَ فَوْقَ سِراةِ أَدْهَمِ مَلْجَمِ  
نَهْدِ مِراكِلِهِ نَبِيلِ المَحْزَمِ  
لَعَنْتَ بِمَحْرومِ الشَّرابِ مِصرَمِ  
تَطَسَّ الإِكامِ بِوَحْذِ خَفِ مِثْمِ  
بِقَرِيبِ بَيْنِ المَنْسَمِينِ مِصْلَمِ  
حَزَقِ يَمانيَّةِ لأَعْجَمِ طَمْطَمِ  
حَزَجُ عَلَى نَعْشِ لَهْنٍ مُخِيمِ  
كَالعَبْدِ ذِي الفِروِ الطَوِيلِ الأَصْلَمِ  
زوراءِ تَنْفِرُ عَنِ حِياضِ الدِيلِمِ  
يَ مِنْ هِزْجِ العِشِيِّ مَوْومِ  
غَضِبِي اتقاها بِالْيَدِينِ وَبِالْفَمِ  
سِنَّدْاً وَمِثْلَ دَعائِمِ المِتْخِيمِ  
بِرَكَتِ عَلَى قِصْبِ أَجْشِ مَهْضَمِ  
حَشِ الوَقودِ بِهِ جِوانِبِ قُومِ  
زِيافَةِ مِثْلِ الفَنِيقِ المَكْدمِ  
طَبِ بِأَخْذِ الفِارِسِ المَسْتَلَمِ  
سَهْلِ مِخالِقَتِي إِذا لَمْ أَظْلَمِ  
مِرْ مذاقَتِهِ كَطْعَمِ العَلْقمِ  
رَكَدِ الهِواجِرِ بِالمِشِوفِ المَعْلَمِ

16. إِذِ تَسْتَبِيكَ بَذِي غِروِبِ وِاضِحِ  
17. وَكأَنما نَظَرْتَ بَعينِي شادِنِ  
18. وَكَأَنَّ فِأَرَةَ تاجِرِ بِقِسمِةِ  
19. أَوْ رِوضَةَ أَنْفَأَ تَضَمَّنِ نَبْتِهاِ  
20. جادَتْ عَلَيْها كُلَّ عَيْنِ حِرَّةِ  
21. سَحا وَتَسْكَابا فَكُلَّ عِشِيَّةِ  
22. وَخَلا الدُّبابُ بِها فَلَيسَ بِبارِحِ  
23. هَزْجاً يَحْكُ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ  
24. تَمَسَّى وَتَصَبَحُ فَوْقَ ظَهِرِ حِشِيَّةِ  
25. وَحِشِيَّتِي سَرَجَ عَلَى عِبلِ الشَّوِي  
26. هَلْ تَبْلَغُنِي دارِها شَدْنِيَّةِ  
27. خِطارَةَ غِيبِ السُّرَى زِيافَةِ  
28. فَكَأَنما أَقْصِ الإِكامِ عِشِيَّةِ  
29. تَأوَى لَهْ قَلْصِ النِّعامِ كَما أوتِ  
30. يَتَبَعْنَ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ  
31. صَعَلَ يَعودُ بَذِي العِشِيرَةِ بَبيضِهِ  
32. شَرِبْتَ بِماءِ الدُّخْزِضِينِ فَأَصْبَحْتَ  
33. وَكَأَنما يَنايَ بِجانِبِ دِفْها الوَحْشِ  
24. هَرَجَنِيْبِ كَلِما عَطَفْتَ لَهْ  
35. أَبْقى لَها طَولَ السِّفارِ مُقَرِّمِداً  
36. بِرَكَتِ عَلَى ماءِ الرِّدَّاعِ كَأَنما  
37. وَكَأَنَّ رُيا أَوْ كَحِيالاً مَعْقِداً  
38. يَنْباعُ مِنَ ذَفْرى غُضُوبِ جِسْرَةِ  
39. إِنْ تَعَدْفِي دَونِي القِناعِ فِإِنِّني  
40. أَتَنِي عَلَى بِما عَلِمْتَ فِإِنِّني  
41. فِإِذا ظَلَمْتَ فَإِنَّ ظَلَمِي بِاسِلِ  
42. وَلَقَدْ شَرِبْتَ مِنَ المِدامَةِ بَعْدَما

قرنت بأزهر فى الشمال مفدم  
مالى وعرضى وافر لم يكلم  
وكما علمت شمائلى وتكرمي  
تمكو فريسته كشدق الأعلم  
ورشاش نافذة كلون العندم  
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي  
نهد تعاوره الكمأة مكأم  
يأوى إلى حصد القسئ عرمرم  
منى وبيض الهند تقطر من دمي  
لمعت كبارق تُعرك المُتَبَم  
لا ممعن هزياً ولا مستسلم  
بمثقف صدق الكعوب مقوّم  
بالليل معتس الذناب الضرم  
ليس الكريم على القنا بمحرم  
ما بين قلة رأسه والمعصم  
بالسيف عن حامى الحقيقة مُم  
هناك غايات التجار ملوّم  
أبدى نواجذه لغير تبسم  
بمهند صافى الحديدة مخذم  
خضب البنان ورأسه بالعظم  
يُحْدَى نعال السبت ليس بتوأم  
حرمت على وليتها لم تحزّم  
فتجسسى أخبارها لى واعلمي  
والشاة ممكنة لمن هو مُرتمي  
رشأ من الغزلان حرّاً زثم  
والكفر مخبئةً لنفس المنعم  
إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

43. بزجاجة صفراء ذات أسيرة  
44. فإذا شريكُ فإنتى مستهلك  
45. وإذا صحوت فما أقصر عن ندى  
46. وحليل غانية تركت مجدلاً  
47. سبقت يداى له بعاجل طعنة  
48. هلا سألت الخيل يابنة مالك  
49. إذ لا أزال على رحالة سابع  
50. طوراً يُجرّدُ للطعان وتارة  
51. ولقد ذكرتكَ والرماح نواهل  
52. فوددت تَقْبِيلَ السيوف لأنها  
53. ومدجج كره الكمأة نزاله  
54. جادت له كفى بعاجل طعنه  
55. برحبية الفرغين يهدى جرسها  
56. فشككت بالرمح الأصم ثيابه  
57. فتركته جزر السباع ينشنه  
58. ومسك سابعةً هتكت فروجها  
59. ريد يده بالقداح إذا شتا  
60. لما رآنى قد نزلت أريده  
61. فطعنته بالرمح ثم علوته  
62. عهدى به مد النهار كأنما  
63. بطل كأن ثيابه فى سرحة  
64. يا شاة ما قنص لمن حَلَّت له  
65. فبعثت جاريتى فقلتُ لها اذهبي  
66. قالت رأيت من الأعداى غيرة  
67. وكأنما التفتت بجيد جداية  
68. نبئتُ عمرًا غير شاكر نعمتي  
69. ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى

غمراتها الأبطال غير تغمغم  
 عنها ولكنى تضايق مقدمي  
 سوداء حالكة كلون الأدم  
 وابئى ربيعة فى الغبار الأقم  
 والموت تحت لواء آل مُخلم  
 ضرب يُطير عن الفراخ الجثم  
 يتذامرون كررت غير مذمم  
 أشطان بئر فى لبان الأدهم  
 ولبانه حتى تسريل بالذم  
 وشكا إلى بعيرة وتحمم  
 وكان لو علم الكلام مكلمي  
 قيل الفوارس ويك عنتر أقدم  
 ما بين شيطرة وأجرد شيطم  
 لُبى وأحفزه بأمر مبرم  
 ما قد علمت وبعض ما لم تعلمي  
 وروت جوانى الحرب من لم يُجريم  
 للحرب دائرة على ابني ضمضم  
 والناذرين إذا لقيتهما دمي  
 جزر السباع وكلّ نسر قشعم<sup>(1)</sup>

70. فى حومة الموت التى لا تشتكى  
 71. إذ يتقون بى الأسنة لم أحم  
 72. ولقد هممت بغارة فى ليلة  
 73. لما سمعت نداء مرة قد علا  
 74. ومُخلم يسعون تحت لوائهم  
 75. أيقنت أن سيكون عند لقائهم  
 76. لما رأيت القوم أقبل جمعهم  
 77. يدعون عنتر والرماح كأنها  
 78. مازلت أرميهم بثغرة نحره  
 79. فأزور من وقع القنا بلبانه  
 80. لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى  
 81. ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها  
 82. والخيل تقتحم الغبار عوايسا  
 83. دُلل ركابى حيث شئت مُشايعي  
 84. إنى عدانى أن أزورك فاعلمي  
 85. حالت رماح ابني بغيض دونكم  
 86. ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تُدز  
 87. الشاتمي عرضى ولم أشتمهما  
 88. إن يفعلوا فلقد تركت أباهما

### الشرح والتحليل:

1. هل غادر الشعراء من مُتردّم
  2. أعياك رسم الدار لم يتكلم
- اللغة: غادر: بمعنى ترك، متردّم: من قولك: ردمت الشيء إذا أصلحته.  
 والمتردّم: اسم مفعول: من ردم ثوبه بمعنى أصلحه، ورقعه. أم: بمعنى بل

(1) شرح ديوان عنتر، ص117: 127، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

للإضراب. التوهيم: بمعنى الإنكار، ويحتمل أن يكون بمعنى الظن أو التقرس.

أعياءك رسم الدار: أى خفى عليك.

**المعنى:** هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر لم يصلحوه ويهدبوه، أو لم يسبقوا إليه حتى يتهياً لمثلئ أن يتأتى به. بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك فى آثارها.

لقد أطلت توهيمك للدار وسؤالك إياها، وهى لا تفصح إلا كما يفصح الأصم الأعجم. فهو يريد أن يقول: إنه وقف طويلاً يستتطق الدار عن أخبار أهلها حتى عيت ولم تجبه.

3. ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي أشكو إلى سفح رواكد جثم

4. يا دارَ عبله بالجواءِ تكلمي وعمى صباحاً دارَ عبله واسلمى

**اللغة:** سفح: جمع سفعاء. أى سوداء تضرب إلى الحمرة.

رواكد: جمع راكدة وهى المقيمة الساكنة. جثم: جمع جاثمة وهى اللاطئة بالأرض الثابتة فيها من قولهم جثم الطائر أى لصق بالأرض، ويريد بها الأثافي، أى أحجار الموقد.

**الجواء:** اسم موضع. أو هو جمع جو، وهو المطمئن من الأرض

المتسع. عمى: انعمى. أى اسلمى. وعمّ مساءً: هى تحية أهل الجاهلية. عبله: ابنة عمه وحبيبته.

**المعنى:** لقد وقفت طويلاً أمام ما تبقى من تلك الديار، أشكو إليها

ما صارت إليه ثم خاطب دار محبوبته بالجواء. وهى بلد يسميه أهل نجد

عدنه. مقدماً لها التحية "عمى صباحاً" وهي تحية أهل الجاهلية.

5. دار لأنسة غضبيض طرفها طوع العناق لذيدة المتبسم  
6. فوقفت فيها ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم

**اللغة:** أنسة: ظبية أو شابة يؤنس بحديثها. والظبية تؤنس شخصاً أى تبصره وإذا أبصرت شخصاً مدت عنقها. وأشرأبت نحوه، فبانّت محاسنها وهو يشبه بها المرأة لحسنها وجمالها.

**غضبيض طرفها:** أى تغض بصرها. طوع العناق: أى طيبة عند العناق. لذيدة المتبسم: أى لذيدة طعم المتبسم وهو الفم، فهى لذيدة الريق. **وقفت:** حبست، الفدن: القصر، جمعه أفدان. شبه به الناقة فى كمال خلقها. والمتلوم: المتمكث. يريد نفسه.

**المعنى:** هذه الديار لأنسة كالظبية فى جمالها، ولذلك يشبهها بالمرأة فهى طيبة العناق لذيدة طعم الفم. ثم يشبه تلك الناقة التى وقف بها على ديار المحبوبة بالقصر المشيد فى كمال خلقها.

7. وتحل علبة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلّم  
8. حيئت من ظلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

**اللغة:** تحل عليه: تنزل أو تقيم من قولك حطت بالمكان أى نزلت فيه. الحزن: لبنى يربوع، والصمان: لبنى تميم. والمتثلّم: مكان.

**حييت من ظلل:** يقدم التحية لظلل محبوبته. أقوى وأقفر بمعنى خلا مما كان يسكنه. أم الهيثم: كنية عيلة.

المعنى: لقد نزلت عبلة بالجواء. وأهلنا نازلون بتلك الأماكن. فما أبعد مزارها. ثم قدم التحية لطلل محبوبته الذى خلا مما كان يسكنه.

9. حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم

10. علقتها عرضاً وأقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم

**اللغة:** الزائرون: الأعداء. كأنهم يزارون كما يزار الأسد، شبه وعيدهم بالزئير. عسراً: منصوب على أنه خبر "أصبح" وطلابها: مرفوع به. ويجوز غير هذا. علقتها: أى أحببتها، عرضاً: فجأة من غير قصد له. الزعم: الطمع. والمزعم: المطمع. وزعماً: اسم من زعم يزعم زعماً. إذا طمع.

**المعنى:** علقتها وأنا أقتل قومها فكيف أحبها وأنا أقتلهم أم كيف أقتلهم وأنا أحبها، ثم رجع مخاطباً لنفسه فقال: زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم. أى هذا فعل ليس بفعل مثلي.

11. ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

12. كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغليم

13. إن كنت أزمعت الفراق فإنما زُمت ركابكم بليلى مظلم

**اللغة:** بمنزلة: فى موضع نصب أى لقد نزلت منزلة مثل منزلة المحب.

تربع القوم: نزلوا فى الربيع. وعنيزتان والغليم: موضعان.

أزمعت: عزمت ونويت. الفراق: الرحيل، زُمت ركابكم: أى شددت وخطمت بالأحزمة. والركاب: الإبل.

**المعنى:** لقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم. فتيقنى هذا وأعلميه ولا تظنى غيره. فكيف يمكنى زيارتها وقد نزل أهلها فى الربيع بذلك المكان ونزل أهلنا بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة ومشقة.

فإن كنت قد عزمت على الفراق والرحيل من هذا المكان فلقد زمت  
ركابكم وشدت الأحزمة عليها.

14. ما راعنى إلا حمولةً أهلهما      وسط الديار تسف حبُّ الخمخم

15. فيها اثنتان وأربعون حلوبة      سوداً كخافية الغراب الأسحم

**اللغة:** راعنى: أفرعنى، الحمولة: قيل التى يحمل عليها. وسط:  
بإسكان السين: طرف. وإذا حركت السين لم يكن طرفاً. الخمخم:  
بكسر الخاءين نبت تعلفه الإبل. وهى بقلة لها حب أسود. إذا أكلته الغنم  
قلت ألبانها وتأكله الإبل إذا لم تجد ما تأكله غيره عندما يجف المرعى.

الحلوبة: الناقة التى تحلب. الأسحم: الأسود. والخوايف: من ريش  
الجنح أربع، وذكر الإبل السود خاصة لأنها أنفس المال عندهم وهذا  
كناية عن غناهم وكثرة ثروتهم.

**المعنى:** لقد أفرعنى وراعنى هذا الأمر وذلك عندما رأيت حمولة  
أهلها تأكل حب الخمخم، فذلك إيذان برحيلها عن المكان الذى تقيم  
فيه. وقد كانت تلك الحمولة تتكون من اثنتين وأربعين حلوبة من الإبل  
السود وذلك دليل على غناهم وكثرة ثروتهم.

16. إذ تستبيك بذى غروب واضح      عذب مقبله لذيذ المطعم

17. وكأنما نظرت بعينى شادين      رشاً من الغزلان ليس بتوأم

**اللغة:** تستبيك: تذهب بعقلك، بذى غروب: جمع غرب وهو ماء الفم  
وحده الأسنان. الواضح: الأبيض. عذب: أى رائحته طيبة فقد عذب لذلك.

شادن: هو ولد الغزال الذى قد شذن أى قوى على المشى مع أمه.  
رشا: حين قوى. ليس بتوأم: أى ولد مفرداً فالعناية به أتم وأكمل.

المعنى: إن هذه المحبوبة تذهب بعقلك لجمالها، وطيب رائحة فمها فمقبلها عذب لذيد الطعام. وهى ليست بتوأم وإنما مفرد ومن ثم فالعناية بها أتم وأكمل.

18. وكأن فأة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم

19. أو روضة أنفأ تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم

اللغة: الفارة: وعاء من جلد يوضع به الطيب. التاجر: العطار.

القسيمة: امرأة حسناء. من القسامة وهى الحسن. العوارض: منابت

الأضراس. يصف طيب رائحة فيها. روضة أنف: أى جديدة لم يرعها أحد.

والأنف: التام من كل شيء. قليل الدمن: قليل اللبث والدمن: جمع دمنة.

المعلم: المكان المشهور. فهى مباحة للناس والدواب.

المعنى: يستمر الشاعر فى وصف جمال محبوبته فيقول: إنها امرأة

فائقة الحسن، طيبة رائحة الفم. وكأنها روضة جميلة فقد تم لها كل

شئ يزيد لها حسناً وجمالاً.

20. جادت عليها كل عين حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

21. سحا وتسكابا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم

22. وخلا الدباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم

23. هزجاً يحك ذراعاه بذراعاه قرح المكب على الزناد الأجزم

اللغة: جادت: نزلت بالجود الكثير، عليها: على الروضة. عين: مطر.

ثرة: كثيرة الماء. حديقة: خضرة. كالدرهم: فى استدارتها وصفاء

مائها. السح: الصب بشدة. التسكاب: الصب والسكب. وكل عيشة:  
خصها لأن مطر العشى أكثر ما يكون صيفاً. لم ينصرم: لم ينقطع.  
ببارح: بتارك. غرماً: الطرب. الترتم: صوته خفى ترجعه بينك وبين نفسك.  
الهرج: السريع الصوت المدارك صوته. المكب: المقبل على الشيء.  
الأجذم: المقطوع الكف أو اليد.

المعنى: إن هذه الروضة الجميلة غذتها مياه كثيرة فزادت من  
خضرتها، فهي كالدرهم فى استدارتها وصفاء مائها الذى ينصب  
وينسكب عليها كل عيشة، فمطر العشى أكثر ما يكون صيفاً  
وكذلك لا يبرحها الذباب من شدة طربه فهو يغنى وحده هزجاً يحك  
ذراعه بذراعه وكأنه مقطوع الكف أو اليد.

24. تمسى وتصيح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم

25. وَخَشَيْتِي سَرَجَ عَلَى عِبِلِ الشَّوَى نُهْدٍ مَرَاكِلِهِ نَبِيلِ الْمُحْزَمِ

اللغة: حشية: فراش وطئ. السراة: الظهر. أدهم: فرس أسود.

حشيته: فراشه. عبل الشوى: فرس غليظ القوائم. النهدي: الضخم

المنتفخ الجنبين. المراكل: جمع مركل. وهو حيث تبلغ رجل الرجل الدابة.

المحزم: موضع الحزام.

المعنى: يقارن الشاعر بين حاله وحال محبوبته. فمحبوبته تبيت على

فراش وطئ وأما هو فيبيت على ظهر جواده ذلك الجواد القوى الضخم

الغليظ القوائم النهدي المراكل.

26. هل تَبْلَغْنِي دَارَهَا شَدْنِيَةَ لَعْنَتِ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مِصْرَمِ

27. خطارة غب السرى زيافة      تطس الإكام بوخذ خف ميثم  
اللغة: شدنية: ناقة نسبت إلى شدن وهو فحل أو أرض باليمن. لعنت:  
يدعو عليها بانقطاع لبنها فيكون أقوى لها وقيل لعنت: أى نحيت عن  
الإبل لما علم أنها معقوبة. فجعلت للركوب الذى لا يصلح له إلا مثلها.  
ومحروم الشراب: ممنوع شرابه. مصرم: مقطوع.

خطارة: تشول بذنبها وتحركه يمناً ويسرة. وإنما تفعل ذلك  
لنشاطها. وغب السرى: عقب السير بالليل. مواراة: تمور فى سيرها أى  
تسرع. تطس: الوطس: الضرب الشديد. الإكام: جمع أكمة والمراد  
بالتنوء فى الأرض تدقه الناقة أو الفرس لشدة وطئها. خف ميثم: شديد  
الوطء.

المعنى: ينتقل الشاعر إلى وصف ناقته فينسبها إلى شدن وهو فحل  
أو أرض باليمن. وهذه الناقة قد انقطع لبنها. ومن ثم جعلت للركوب فهى  
نشيطه قوية تشو بذنبها يمناً ويسرة لشدتها وقوتها وسرعة سيرها. فهى  
تدق التنوء فى الأرض لشدة وطئها.

28. فكانما أقص الإكام عشية      بقريب بين المنسمين مصلم

29. تأوى له قاص النعام كما أوت      حزق يمانية لأعجم طمطم

اللغة: أقص: أى أكسر. والمنسمان: ظفراه المقدمان فى خفه.

المصلم: الذى خفيت أذناه فكانهما مقطوعتان وكذا الظليم. تأوى:  
ترجع وتثوب. قاص: جمع قلوص. وهى من البغال الأنثى الشابة. الحزق:  
الجماعات من الإبل. الأعجم: أراد به هنا الحبشى وطمطم: لا يفهم  
كلامه.

المعنى: يقول الشاعر: إنه أقص ظفراه المقدمان فى خفه. وأنه قد خفيت أذناه فكأنهما مقطوعتان. وكذا الظليم. ثم ذكر لنا أن راعيها أعجم فهو يطمطم فلا يفهم كلامه.

30. يتبعن قلة رأسه وكأنه حرج على نعش لهنّ مخيم

31. صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفروايطويل الأصلم

32. شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

اللغة: يتبعن: يعنى النعام تتبع الظليم. قلة رأسه: اعلاه. الحرج:

عيدان الهودج. ومخيم: محمول الخيمة. صعل: طويل العنق صغير الرأس.

يعود: يأتى إلى بيضه. ذى العشيرة: موضع. الصلم: المقطوع الأذنين. بماء:

أى من ماء. الدحرضين: ماء أو بلد وقيل هما ماءان يقال لأحدهما. وسيع

وللآخر الدحرض. فلما تاهما غلب لفظ أحدهما على الآخر. وزوراء:

مائلة من النشاط. الديلم: الأعداء.

المعنى: إن النعام تنظر إلى أعلى رأس الظليم وتتبعه ثم نجده يشبه

الظليم براع أسود مجتاب فروة. لقد شربت بماء الحرضين فهى زوراء تنفر

عن حياض الديلم أى الأعداء.

33. وكأنما ينأى بجانب دفها الوحش ي من هزج العشى مؤوم

34. هرجنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالقم

اللغة: ينأى: يبعد، الدف: الجنب. الوحشي: الجانب الأيمن من

البهائم. هزج العشى: يعنى هراً، والمؤوم: المشوه الخلق. وخص العشى لأنه

ساعة الفتور. فأراد أنها أنشط ما تكون فى هذا الوقت الذى تفترفيه

الإبل فكأنها من نشاطها يخضمها هر. جنيب: أى مربوط فى جنبها.

المعنى: الشاعر يصف ناقته بأنها أنشط ما تكون فى هذا الوقت الذى

تتفر فيه الإبل فكأنها من شدة نشاطها يخدمها هر مربوط فى جنبها.

35. أبقى لها طول السفارٍ مُقزماً سناً ومثل دعائم المتخيم

36. بركت على ماء الرِّدَاع كأنما بركت على قصب أجش مهضم

اللغة: مقزماً: سناماً لزم بعضه بعضاً فكأنه بنى بالأجر . سناً:

عالياً. دعائم المتخيم: مثل أعمدة الخيام.

الرِّدَاع: اسم موضع فى مكان. الأَجَش: الذى فى صوته جشة وهو

الصوت الغليظ. المهضم: المخرق أو المكسر.

المعنى: يريد أن يقول: إن لتلك الناقة سناماً لزم بعضه بعضاً. فكأنه بنى

بالأجر. ثم يقول: أنها بركت فحنت. فشبه صوت حنينها بصوت هذا

القصب.

37. وكان زياً أو كحياً معقداً حش الوقود به جوانب فمقم

38. ينباع من ذفرى غضوب جسة زيافة مثل الفنيق المكدّم

اللغة: الرِّب: الدبس وهو عسل المرى. والكحيل: القطران. والمقعد:

الذى أوقد تحته حتى انعقد وغلظ. والوقود: بالفتح الحطب.

ينباع: يسيل وينبع وهو سيلان ببطء. الذفرى: العظم الناتئ خلف الأذن

وأول ما يعرق البعير منه. الجسة: الماضية فى سيرها. وقيل الضخمة القوية.

الزيافة: المسرعة. والفنيق: الفحل من الإبل. المكدّم: الذى لا يستعمل

للكوب.

المعنى: يذكر الشاعر أن الرب وهو عسل المرى. والكحيل وهو

القطران وقد أوقد تحته حتى انعقد. والقيان: الخدم. والقمقم هو القدر

الصغير لتسخين الماء. فهو يسيل وينبع كالعرق الذى يخرج من خلف الأذن فتلك الناقة جسرة موثقة الخلق. وتتبختر فى مشيتها وكأنها الفحل من الإبل القوى الذى لا يستعمل للركوب.

39. إن تغدفى دونى القناع فإنني طب بأخذ الفارس المستلم

40. أثنى على بما علمت فإنني سهل مخالقتى إذا لم أظلم

اللغة: الأعداق: إرخاء القناع على الوجه. والطب: الحاذق.

المستلم: الذى لبس اللأمة وهى الدرع. أثنى: من الثناء والمديح.

مخالقتى: بالقاف أى معاملتى صاحبى بمثل ما يظهر لى. من الأخلاق الحسنة والفاء من الخلاف. والمعنى: يريد أن يقول: إذا رأى الناس قد كرهتبنى فأعددت دونى القناع توهموا أنك استغللتنى وأنا مستحق لخلاف ما صنعت فأثنى على بما علمت.

المعنى: يريد أن يقول: إذا نبت عينك عنى فأعددت دونى قناعك

فإنى حاذق بقتل الفرسان وأسّر الأقران. ثم يقول: إذا رأى الناس قد كرهتبنى فأعددت دونى القناع توهموا أنك استغللتنى وأنا مستحق لخلاف ما صنعت فأثنى على بما علمت.

41. فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل مر مذاقته كطعم العلقم

42. ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

اللغة: باسل: كريبه، العلقم: الحنظل.

الهواجر: جمع هاجرة. وهى نصف النهار عند زوال الشمس أو من

زوالها إلى العصر. ومعنى ركود الهواجر سكونها أى سكون الناس فيها فى بيوتهم. والمشوف: الدينار أو الدرهم. وقيل: هو الكأس. وقيل:

المشوف: البعير المهناً. أى إنه اشترى خمرأً ببيعيره. ومعلم: فيه علامة.

المعنى: يريد أن يقول إنه إذا ظلم فسوف يكون رده على هذا الظلم بظلم شديد المرارة كطعم الحنظل. وهو نبات معروف بمرارته الشديدة. ثم يقول: إن شربه للخمر يكون حين ركبت الشمس ووقفت وقام كل شىء على ظله. أى حين سكن الناس فى بيوتهم.

43. بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر فى الشمال مقدم

44. فإذا شريث فإننى مستهلك مالى وعرضى وأفر لم يكلم

45. وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

اللغة: الزجاجاة الصفراء: يريد بها القدح. وصفراء آتية من صفرة الخمرة. ذات أسرة: أى ذات طرائق وخطوط. وأزهر يعنى إبريقاً من فضة أو رصاص. مقدم: مشدود فمه بخرقه وقيل عليه الفدام يصفى به.

العرض: موضع المدح أو الذم من الرجل. لم يكلم: لم يجرح. وأفر: أى تام سليم لم يخرج بسب أو طعن فيه. صحوت: أفقت. والندى: السخاء وشمائل: جمع شمال وهى الخلق.

المعنى: لقد شريت المدامة بزجاجة صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركب على فمه مصفاه كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى. وهذا الشراب سوف يستهلك ماله فقط. أما عرضه فإنه وأفر فلم يخرج بسب أو طعن فيه. ثم يقول: وإذا صحوت عن سكرى لم أقصر عن جودى كما يفعل الأشقياء وأخلاقى كما علمتى أيتها الحبيبة.

## ملحوظة:

لقد توقفت فى شرح معلقة عنتره بن شداد وتحليلها عند هذا البيت، حتى لا يطول بنا المقام، فهى من السبع الطوال وما قمت بشرحه يودى المطلوب كنموذج للشرح والتحليل، وكذلك أردت أن أترك للقارئ الكريم نموذجاً يهتدى به ويسير عليه فى شرح بقية المعلقة. وقد ختمت الحديث عن المعلقة بتأمل تام وتعليق عام على المعلقة ككل حتى تكون الفكرة واضحة ونستطيع أن نصل إلى الهدف المرجو.

## تأملات فى القصيدة «التعليق العام»:

بدأ عنتره معلقته بالسؤال عن المعنى الذى يمكن أن يأتى به ولم يسبقه به أحد الشعراء من قبل، ثم شرع فى الكلام، فقال إنه عرف الدار وتأكد منها بعد فترة من الشك والظن، فوقف فيها بناقته الضخمة. ليؤدى حقها - وقد رحلت عنها عبلة وصارت بعيدة عنه - فحيا الطلل الذى قدم العهد به وطال، فتغرب، وأصبحت الحبيبة فى مكان يصعب عليه طلبها فيه، فقد باعدت بينهما الديار، وهى بين الأعداء، وحقيقة تمكن حبها فى قلبه منذ أن وقعت عليها عينه عرضاً وهو يحارب قومها. وأضحت تحتل فى قلبه مكانة المحبوب المعزز المصون وكان فراقها مفاجأة له، فقد قرروه فى الخفاء، وأفزعه أن رأى الإبل تحمل الأمتعة على وشك الرحيل، وكان ركاها من أجود الإبل وأغلاها:

هل غادر الشعراء من مَنَزَّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

يا دَارَ عِبلةَ بِالْجِوَاءِ تَكلمي  
فوقفت فيها نأقتى وكأنها  
حيئت من طللٍ تقادم عهده  
حلت بأرض الزائرین فأصبحت  
غلقنّها عَرْضاً وأقتل قومها  
ولقد نزلت فلا تظنى غيره  
إن كنت أزمعت الفراق فإنما  
ما راعنى إلا حمولةً أهلها  
فيها اثنتان وأربعون حلوبة

ثم سرد طرفاً من أسباب هيامه فقال: إنها ملكت شغاف قلبه  
بضم جميل، أبيض الأسنان، طيب الرائحة، يفوح العطر من عوارضه:  
إذ تستبيك بذى غروب واضح      عذب مقبله لذيذ المطعم  
وكان فارة تاجر بقسيمة      سبقت عوارضها إليك من الفم

ثم قارن بين حاله وحالها، فهي تعيش منعمة وهو يعيش محارباً،  
وتمنى أن توصله إليها ناقة قوية لا تحمل ولا ترضع، وتضرب الأكام  
بأخفافها فتكسرهما، وهى نشيطة سريعة لا ترد الماء كثيراً، وكلما  
جرت ازدادت نشاطاً وسرعة، كأنما ربطت بجانبها هرّ كبير الرأس  
يخدشها، وسال عرقها أسود كثيفاً:

تمسى وتصبح فوق ظهر حشية  
وَحشيتى سرج على عبل الشوى  
هل تبأغنى دارها شذنية  
وأبيت فوق سراة أدهم ملجم  
تهد مراكله نبيل المحزم  
لعنت بمحروم الشراب مرم

خطارة غب السرى زيافة  
وكأنما أقص الإكام عشية  
شريت بماء الأذخرضين فأصبحت  
وكأنما ينأى بجانب دفها الوحش  
هر جنيب كلما عطفت له  
وكان زياً أو كحياً معقداً  
تطس الإكام بوخذ خف ميثم  
بقريب بين المنسمين مصلم  
زوراء تنفر عن حياض الديلم  
ى من هزج العشى مؤوم  
غضبى اتقاها باليدين وبالغم  
حش الوقود به جوانب فمقم

ثم اتجه بالحديث إلى الحبيبة بسرد أخلاقه وسجاياه: قائلًا: إن  
ترخى قناع وجهك دوني، فإنى خير ماهر بمعاملة الفرسان اللابسين  
الدروع، وأنا كريم الخلق لمن الجانب إلا إذا ظلمت فعند ذلك يكون ردّي  
عنيفاً مرّاً، ثم قال لها: إنى استحق الثناء منك لأنى سخي جواد على  
السكر والصحو، وفى ميادين القتال بطل شهيم فكم صرعت زوج شابة  
حسنة أعجلته بطعنة نافذة تطاير رشاشها، وتركته ينزف من الدم بغزارة  
وشدة. (وكانما يشير هنا إلى سمة البطولة الحقيقية، فقد قتل عدوه،  
ولكن نفسه لم تحدثه أن يمس حيلة القتل بسوء على عكس ما كان  
شائعاً فى عصره).

ثم استمر فى عرض بطولته، فحث حبيبته أن تسأل عنه إن  
كانت لاتعرف أخلاقه، وسلوكه، فهو فى الحروب يمتطى صهوة جواد  
ضخم مدرب على لقاء الكماة وطعن الرماح ورمى السهام، وحينما  
ينتهى من المعركة لا يلتفت إلى الغنائم، وكثيراً ما كان يتصدى  
للأبطال المدججين بالسلاح الذين لا يتزحزون عن مواطئ أقدامهم فى  
ميادين القتال، فكان يعتمد إلى الواحد منهم برمح قوى صلب، ويسدد

إليه طعنة عاجلة فتأتى نافذة يندفع منها الدم بغزارة فيحدث جرساً يهدى إليه السباع الجائعة ليأكلن منه، وما أكثر الدروع المحكمة التى مزقتها بسيفه عن شجعان مشهورين، وكان الواحد منهم ضخم الجسم طويل القامة متين البنيان - إذ رآه مقبلاً عليه كشر عن أنيابه، فيقطعنه بالرمح، ثم يقطعه بالسيف، ويتركه مضرجاً بدمه، ثم نادى حبييته المحرمة عليه، وتمنى أن تكون حلالاً له، (وتحس من كلامه أنه يدعو لها ألا تكون لأحد إلا عن طريق حلال):

إن تغدفى دونى القناع فإنني	طب بأخذ الفارس المشتتم
أثنى على بما علمت فإنني	سهل مخالفتى إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمى باسل	مر مذاقته كطعم العلقم
هلا سألت الخيل يابنة مالك	إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك منش هذه الواقعة أننى	أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكمأة نزاله	لا ممعن هزياً ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنه	بمئقف صدق الكعوب مقوم
برحبية الفرغين يهدى جرسها	بالليل معتس الذئاب الضرم
ومسك سابغة هتكت فروجها	بالسيف عن حامى الحقيقة معلم
بطل كأن ثيابه فى سرحة	يُخذى نعال السبت ليس بتوأم
عهدى به مد النهار كأنما	خضب البنان ورأسه بالعظم
يا شاة ما قنص لمن خلت له	حرمت على وليتها لم تحرم

ثم استمر فى حديثه عن نفسه، فذكر سلوكه فى المعركة فقال: عند ساعة الخطر حينما يكشر الأبطال عن أنيابهم، ويشتد أوار

المعركة ولا تسمع للأبطال إلا غمغمة فى صدورهم بأصوات تسمعها ولا تفهمها وحينما يتحاشون الأسنة عن أنفسهم بتعريضهم إياى لها، فأتقدم والتحم بصفوف الأعداء، وتتعالى النداءات وأصوات التحريض والإثارة ويخيم الموت تحت الألوية كنت أتقدم أكثر، وأصوات الاستحسان لى تؤججنى غيرة وحماسة فأتقدم وسط الرماح الطويلة التى تهال من كل مكان وأدفع بحصانى أكثر وأكثر حتى صنع الدم له سريالاً، فالتفت إلى حصانى، مسترحماً، وأنحدرت من عينه دمعة على خده، وأخرج من صدره صوتاً مقطعاً ليس الصهيل، ولكن ما لقيته من التعب، وما حاق بى من السقم، لم يكن له أدنى أثر، فقد أذهبتة عنى صيحات الأبطال لى بالاستحسان والإعجاب:

ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى	إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
فى حومة الموت التى لا تشتكى	غمراتها الأبطال غير تغمغم
إذ يتقون بى الأسنة لم أحم	عنها ولكنى تضايق مقدمي
لما رأيت القوم أقبل جمعهم	يتذامرون كررت غير مذم
يدعون عنتر والرماح كأنها	أشطان بئر فى لبان الأدهم
مازلت أرميهم بثغرة نحره	ولبانه حتى تسربل بالدم
فأزور من وقع القنا بلبانه	وشكا إلى بعبرة وتحمم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى	ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها	قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

ثم ختم قصيدته بأنه يعرف كيف يسوس أمره، ويصرف شؤونه، فلعله لا يعزب عنه، ورأيه محكم، وعزيمته صادقة ولا يخشى

الموت إلا قبل أن يقتص من غريمه :

ذُلَّ رِكاَبِي حَيْثُ شئتُ مِشايعِي أُنْبى وَأُحْفِزُه بِأَمْرٍ مِبرم  
ولقد خشيث بأن أموت ولم تُدرْ للحرب دائرهٌ على ابني ضمضم  
الشامى عرضى ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دمي  
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكلَّ نسر قشعم<sup>(1)</sup>

تلك هي معلقة عنتره، وواضح أنها تصوير للفروسية الحقة التي من أبرز سماتها: البطولة في كل المواقف وخصوصاً أوقات الشدة وميادين القتال، والشهامة مع الجميع وبخاصة المرأة وذلك بحمايتها والدفاع عنها، والمحافظة على شرفها وكرامتها حتى ولو كانت من الأعداء<sup>(1)</sup>.

## 2. النابغة الذبياني ودراسة قصيدته:

### ”عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار“

#### التعريف بالشاعر:

النابغة الذبياني من شعراء الجاهلية الذين عرفوا بأنهم أصحاب المعلقات.

كما أنه عرف بصلاته بملوك الغساسنة في أطراف الشام وملوك المناذرة في أطراف العراق، حيث كان يرتحل إلى الفريقين ليمدحهم ويفوز بصلاتهم.

وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن مرة بن ذبيان وهي إحدى

(1) شرح ديوان عنتره، ص 117: 127، الدار العلمية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(2) راجع في تاريخ الأدب الجاهلي للدكتور/ علي الجندي، مكتبة النصر، ص 312.

القبائل العربية الشهيرة، وقد جرت بين أبنائها في الجاهلية وبين أبناء عموماتهم من عبس الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء التي يقال أنها ظلت مشتعلة تسيل فيها الدماء بين القبيلتين أربعين عاماً، وكان من أبطالها الذين سجلوا انتصارات واشتهروا فيها بقتل كثير من أبطال الخصوم الشاعر عنتر بن شداد العبسي مثل قوله:

ومدجج كره الكماة نزاله

لا ممعن هرباً ولا مستسلم

جادت يدي له بعاجل طعنه

بمنثقف صدق الكعوب مقوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم

فتركته جزر السباع ينشئه

ما بين قلة رأسه والمعصم

ولم تضع هذه الحرب أوزارها إلا حين قام رجلان كريمان من مرة من ذبيان بتحمل ديات القتلى من الفريقين من مالهما الخاص فكانا بذلك مفتاحاً للخير وسبباً في حقن الدماء وانتشار الأمن والسلام. وكان عملهما النبيل هذا قوي التأثير على الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى، فاعترف لهما بالفضل وخلصهما بمدحيه.

وقد جاء من هذا المدح لهما في معلقته الشهيرة:

يمينا لنعم السيدان وجدتما

على كل حال من سحيل ومبرم

تداركتما عبسا وذبيان بعدها

تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم .:

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعا

بمال ومعروف من القول نسلم .:

فأصبحتما منها على خير موطن

بعيدين فيها من عقوق ومأثم .:

والنابغة شاعر متكسب كان يتكسب بشعره ويرتزق من مدائحه ملوك المناذرة فى الحيرة، ومن أبرزهم المنذر الثالث بن ماء السماء، ثم النعمان بن المنذر الذى قرب النابغة وخلطه بنفسه وأهله وجعله له نديماً كما كان يختلف فى بعض الأحيان إلى أمراء بنى غسان خصوم المناذرة ويبدو أنه لم يكن يجد بأساً فى ذلك، فالشاعر المداح يركب كل موجة ويأكل على كل مأئدة.

" يسقط الطير حيث ينتشر الحب وتغشى منازل الكرماء "

وهكذا كان النابغة الذبياني وكما اختلفت قبائل العرب خصوصاً البدو منها، بعضها مع بعض، اختلف ملوك الحيرة الذين يؤيدهم الفرس مع ملوك غسان الذين يؤيدهم قياصرة الروم نكاية بالفرس.

وقد انتصر الغساسنة على ملوك الحيرة وخاصة يوم حليلة وكان الغساسنة نصارى يدينون بالولاء للكنيسة البيزنطية، كما كان بعض المناذرة من النصارى - أيضاً - ولما كان من شأن ملوك الحيرة السيطرة على القبائل العربية المجاورة لهم وفرض طاعتهم عليهم، كما كان من شأن ملوك الغساسنة القيام بنفس الدور مع القبائل التى تقيم فى

جوارهم.

وكان بنو ذبيان شعبة النابغة إذا أجدبت الصحراء، وانتشر القحط أغاروا على أطراف الغساسنة يرعون كلاًها، أو يسوقون ما يصادفونه من إبلها وماشيتها، فيقع القتال بين بنى ذبيان يساعدهم بنو أسد أنصار الحيرة والنصر لهؤلاء تارة ولأولئك تارة أخرى، فإذا انتهت المعركة كانت حصيلتها بعض الأسرى من ذبيان وأسد يسوقهم الغساسنة فيعمل النابغة لإنقاذهم ويمدح الغساسنة لإخلاء سبيلهم<sup>(1)</sup>.

وأهم ما نطالعه في تاريخ النابغة الذبياني ذلك الأمر الذي نغص عليه معيشتة وجلب عليه النكد والخوف بالليل والنهار، وهو سوء العلاقة بينه وبين النعمان بن المنذر الذي أهدر دمه ونصب الجوائز السخية لمن يأتيه برأسه.

فظل ينتقل بين الصحراء العربية طريداً مشرداً لا تبرحه الهموم ولا يفارقه الهم حتى وهو مستجير بالغساسنة لأذا يحماهم، لأنه كان يشعر بسطوة النعمان من جهة، كما كان صادقاً في حبه يعز عليه أن يخسره من جهة أخرى.

وقد تعددت أقوال المؤرخين في ذلك والتعليل له. فمنهم من يقول أن النعمان كان يعد نفسه ولياً لنعمة النابغة فلا يصح من وجهة نظره أن يمدح معه أكبر خصومه، وكان للفتن والفسائس مقالة السوء أكبر أثر في تصعيد هذا الموقف، وامتلاً نفس النعمان به، ومنهم من يقول أن

(1) شرح المعلقات السبع، ص 286، ط: دار مكتبة الحياة بلبنان.

النايعة جرأه تقرب النعمان إياه ورفع الكلفة بينه وبينه لدرجة أنه سمح لنفسه بأن يتغزل في المتجردة زوجة النعمان في قصيدته التي يقول فيها :

### سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

:. فتناولته واتقتنا باليد

ومما زاد غضب النعمان أن النايعة لم يكن بعيد النظر خلال مديحه لعمر بن الحارث الغساني لأنه أشار في هذا المديح إلى انتصار الغساسنة على المناذرة في يوم حليلة الذي شاع ذكره في قبائل العرب، وقالوا: "ما يوم حليلة بسر"، وهذا أمر من شأنه أن يشعل غضب النعمان على النايعة، ويؤكد خيانتة له..

وقد أكثر النايعة من قصائد الاعتذار التي يبغى بها استرضاء النعمان واستجلاب عفو عنه، ولعل النعمان في قرارة نفسه كان يشعر بالميل إلى النايعة بدليل أنه عفا وصفح عنه، وحقن دمه وردّه إلى ما كان عليه من قبل ومما قاله النايعة في اعتذاره للنعمان والمبالغة في استرضائه:

أتانى أبيت اللعن أنك لمتني

وتلك التي أهتمُّ منها وأنصب

فبت كأن العانذات فرشني

هراسا به يعلى فراشى ويقشب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى جانية  
لمبلغك الواشى أغش وأكذب  
فلا تتركنى بالوعيد بأنك  
إلى الناس مطلى به القار أجرب  
ألم تر أن الله أعطاك سورة  
ترى كل ملك دونها يتذبذب  
بإنك شمس والملوك كواكب  
إذا طلعت لم يبد منها كوكب

ويقال<sup>(1)</sup> إن النابغة أرسل هذه القصيدة بالاتفاق مع صديقين  
للنعمان لإحدى قيان النعمان لتتغنى بها فى مجلسه، فلما سمع الأبيات  
أقسم أن هذا الشعر للنابغة، وسأل ندماء عنه ولم يكن بعيداً فأخبر به  
فأمنه وأدنى مجلسه وظل عنده حتى غضب كسرى على النعمان فقتله  
تحت أرجل الفيلة فغادر النابغة الحيرة، والتحق بقومه ذبيان وعاش معهم  
حتى مات سنة 604م قبل الإسلام بعدة سنوات.

والنابغة كان حكيم الشعراء فى سوق عكاظ، حيث كانت  
تنصب له قبة من آدم " جلد " أحمر وقصة مفاضلته بين الخنساء وحسان  
بن ثابت فى الجاهلية معروفة، حيث روى قوله للخنساء وقد أعجب  
بشعرها لولا أنك امرأة لفضلتك على أهل الموسم.

والشاعر النابغة أول من فتح على الشعراء الجاهليين باب  
التكسب بالشعر، ولكن لم يؤثر عنه مديحه لغير الملوك، وقد أجاد فى

(1) شرح المعلقات السبع، ص 287.

مدائحہ واعتذاراته ومرد هذه الجودة إخلاصه وصدقہ الفنۃ فى الناحيتين.

وقد امتاز شعره بصفاء الדיباجة وجمال التعبير وكان بارعاً فى الغزل والوصف والمديح والاعتذار وإن كانت له بعض التراكيب الغريبة والجمل المستعصية.

وللنايعة ديوان مشهور كان أول من جمعه أبو سعيد عبد الملك بن قريب المعروف بالأصمعي: حيث اختار له أربعة وعشرين قصيدة زاد عليها الطوسى فى منتصف القرن التاسع بضع قصائد<sup>(1)</sup>.

وأبو زيد القرشى يعد قصيدة النايعة التى بين أيدينا أبيات منها اخترناها للدراسة، المعلقة الثالثة وإن كان العلامة التبريزى يرى أن معلقة النايعة ليست هذه القصيدة وإنما يرى أن معلقته :

يا دار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطل عليها سالف الأمد

ويرى أصحاب دار مكتبة الحياة البيروتية والذين حققوا القصائد السبع للزوزنى رأى التبريزى فى أن المعلقة هى القصيدة التالية :  
يا دار مية... الخ، وليس الرائية: قوموا فحيوا... الخ حيث أنها تعد من أجمل قصائد النايعة وأروعها.

يقول النايعة الذيبانى :

- |  |   |
|--|---|
| 1. عَوْجُوا فَحْيُوا لِنُعْمِ بِمَنَّةِ الدَّارِ | مادًا تُحْيُونَ مِنْ نُؤَى وَأُحْجَارِ؟   |
| 2. أَقْوَى وَأَقْفَرَ مِنْ نَعْمٍ وَغَيْرِهِ     | هُوجُ الرِّيحِ بِهَابِى التُّرْبِ مَوَارِ |

(1) شرح المعلقات السبع، ص 291.

3. وقفت فيها سراة اليوم أسألها  
 4. فاستجمت دار نغم ما تكلمنا  
 5. فما جدت بها شيئاً أعوج به  
 6. وقد أرانى ونغمياً لاهيين معاً  
 7. أيام تعجبنى نغم وأخيرها  
 8. لولا حبات من نغم علق بها

9. رأيت نغمياً وأصحابي على عجل  
 10. ببيضاء كالشمس وافت يوم أسعدها  
 11. يلات بعد افتضال الدرع منطقتها  
 12. والطيب يزداد طيباً أن يكون بها  
 13. تسقى الضجيع إذا استسقى بذى أشرف  
 عذب المذاقة بعد النوم مخمار

14. إذا تفتى الحمام الورق ذكرنى  
 15. ومهمة نازح تعوى الذئاب به  
 16. جاوزته بعناد مناقلة  
 17. نجتار أرضاً إلى أرض بذى رجل  
 ولو تغزئت عنها أم غمار  
 نأتى المريا من الورد مقفار  
 وعيت الطريق على الخزان مضرار  
 ماض على الهول هاد غير محيار

18. كأنما الرحل منها فوق ذى جند  
 19. مطرد أفردت عنه خلاؤه  
 20. مجرس وحد جون أطاع له  
 21. باتت له ليلة شهباء تسفغه  
 22. حتى إذا ما انجلت ظلماء آياته  
 23. أهوى له قانس يسعى بأكلبه  
 24. محالف الصيّد تباع له لحم  
 25. فشك بالرمح منها صدر أولها  
 26. ثم انتشى بعد للثانى فأقصده  
 ذب الرياد إلى الأشباح نظار  
 من وحش خبة أو من وحش تغشار  
 نبات غيث من الوسم مبكار  
 منها بحاصب شفان وأمطار  
 واسفر الصبح عنه أى إسفار  
 عارى الأشجاع من قناص أنمار  
 ما إن عليه ثياب غير أظمار  
 شك المشاعب أعماراً بأعشار  
 بذات فرع بعيد القعر نغار

28. وأثبت الثالث الباقي بنافذة من بابل عالم بالطعن كزار  
 29. وظل في سبعة منها لحقن به يجر بالزوق فيها كزار إسوار  
 30. حتى إذا ما قضى منها ثباته وعاء فيها بإقبال وإدبار  
 31. انقض كالكوكب الدرى منصاتاً يهوى ويخلط تقريباً بإحضار  
 32. فذلك شبه قلوبى إذ أضرب بها طول السرى والسرى بغد إيكار<sup>(1)</sup>

### الشرح والتحليل :

- |                                |                             |
|--------------------------------|-----------------------------|
| 1. عوجوا فحيوا لنعم يمئة الدار | ماذا تحيون من نوى وأخبار؟   |
| 2. أقوى وأقمر من نعم وغيره     | هوج الرياح بهابى الثرب موار |

اللغة :

عوجوا: من عاج بالمكان عوجاً رجع إليه ونزل به، الدمنة: ما بقى من آثار الديار، والنوى: الخندق، أو الحفرة التى تكون حول الخيمة لتمنع تسرب المياه إليها، أقوى خلا: هوج الرياح جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة، الهابي: الذى يسقي، الموار: الذى يذهب ويجى، قال تعالى: "يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا"<sup>(2)</sup>.

المعنى :

على عادة الشعراء الأقدمين وسيرا على النهج الذى سنه امرؤ القيس أول من وقف واستوقف وبكى واستبكى، تخيل النابغة رفقة سفر يصطحبهم فى إحدى رحلاته التى يمر خلالها بديار نعم حبيبته التى باعدت بينه وبينها الأيام، وما أن يقع بصره على شخص ما من آثار ديارها حتى تثور مشاعره

(1) تراجع هذه القصيدة فى ديوان النابغة، ص 202، 204، وفى جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام لأبى زيد القرشى، تحقيق: على محمد الجاوى، ص 183 وما بعدها.

(2) سورة الطور، آية (9).

وتهيج ذكرياته. فلا يجد متنفساً لما هو فيه من هم وضيق سوى أن يطلب من أصحابه أن يقفوا بهذه الدمن ليوفوها حقها من التسليم والقاء التحية عليها، ولكن الحلم العاطفى الذى ألم بخياله وسيطر على مشاعره، وأخذ بأقطار نفسه ما لبث أن انقشع فتبدت له الحقيقة عارية مجردة فى صورة هذه الآثار البالية التى عفى عليها الزمن ولم يبق منها إلا خطوطاً باهتة فثاب إلى رشده حزينا باكيا يقول مستدركا: ولكن ماذا تحيون؟ وعلام تسلمون؟ أعلى حفرة كادت تتدثر؟ أم على أحجار متاثرة هنا وهناك... وكأنه بهذا يعيد علينا صوت امرئ القيس على أطلال سلمى بذى الخال.

### الأعم صباحاً أيها الظل البالي

#### وهل يعمن من كان فى العصر الخالي

ثم يقول: وأسفاه لقد خلت آثار ديار محبوبتى منها، وتغيرت معالمها تماماً بفعل عوامل التعرية والتغيير من الرياح الهوجاء وما تذرره عليها من أتربة فأين هى الآن من أيام أنسها وبهجتها؟

3. وقفتُ فيها سراةَ اليوم أسألها	عن آلِ نَعْمٍ أمُوناً عَجَزَ أسفارِ
4. فاستعجمتُ دارُ نَعْمٍ ما تكلمنا	والدارُ لو كلمتنا ذاتُ أخبارِ
5. فما وجدْتُ بها شيئاً أعوجُ به	إلا الثَّمَامَ وإلا مَوْقِدَ النَّارِ

اللغة :

الأمون: الناقة القوية المريحة، وهى مفعول به لوقفن وسراة اليوم وسط النهار، وعبر أسفار بضم العين وسكون الفاء أى قرينة أسفار وأليفة رحلات، استعجمت، خرسن ولم تنطق، أعوجُ به أقف عنده وأتذكر به، والثمام نوع من العشب الخفيف يبيض إذا يبس

ويستخدمونه فى سد الفرج بين أجزاء الخيمة وموقد النار: الكانون ونحوه.

المعنى :

لقد وقفت ناقتى القوية الهادئة على تلك الآثار ورحت أسألها عن أهلها الذين سعدت بصحبتهم وكانت لى معهم ذكريات جميلة لا تنسى. ومن ذا الذى ينسى نعماً أو تزايله ذكرياتها الطيبة وكنت آمل أن تتحدث لى الآثار بشيء يريح قلبى ولكنها خرسى ولم تتطرق وكم من الأخبار الشيقة تحتويها وتتحدث بها لو قدرت فما أشد أسفى وحزنى لقد ضاع كل شيء وتبخر ولم يبق أمام عينى إلا بقايا من نبات الثمام ملقى هنا وهناك ومواقد النيران التى عفت هى الأخرى وذهبت معالمها.

- |                                    |                                      |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| 6. وقد أرانى ونُعماً لاهيين معاً   | فى الدهر والعيش لم يهْمُ بِإِمْرَارِ |
| 7. أيام تعجبنى نَعْمٍ وأخبرها      | ما أكثم الناس من حاجى وأسراى         |
| 8. لولا حبالل من نَعْمٍ علقْتُ بها | لأَقْصَرَ القلبُ عنها أى إقصار       |

اللغة:

لاهيين: قاضيان حياتنا فى لهو ولعب شأن العاشقين الفارغين، والدهر والعيش لم يهْمهم بِإِمْرَارِ أى لم يأذن يتصرم، وكان السياق يقتضى أن يقول والدهر والعيش لم يهما، ولكن مثل هذا التركيب الذى يرجع فيه الضمير بالأفراد وليس بالتثنية ورد كثيراً فى كلام العرب، ومنه قوله تعالى: "كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا"<sup>(1)</sup>.

(1) سورة الكهف، آية (33).

حاجي: أى حاجتي، والأسرار: جمع سر وهو ما يكتبه الإنسان فى نفسه والحبال: جمع حباله، وهى المصيدة والشرك من الحبال، والمراد بها هنا روابط المودة، أقصر عن الشيء: كف عنه وانصرف، أى إقصار: إقصاراً شديداً.

### المعنى :

بعد إظهار ألمه على ما صارت إليه آثار نعم من تغير وتبدل عاد بأفكاره إلى الماضى يسترجع ما كان له فيه من ذكريات مع نعم عندما كانا أليفين متجاورين ينعمان بالهناء ويرفلان فى ثياب عزه ويمضيان أيام الشباب فى لهو ولعب كيفما تقضى دواعى العشق والغرام والزمان بكر صبى لم ينذر بالفراق، وكان اللعب بينهما يرفع كل تكليف فيجعل الحبيبين يتتاجيان ويفضى كل منهما برغباته وأسراره إلى صاحبه.

ولكن أين هو الآن وحدته ووحشته وضيقه مما كان ينعم به من أنس الحبيب واقتطاف أزاهير الغرام معه؟ لقد ذهب كل شيء وتبخر حيث تغير الزمان وتبدلت الأحوال وبدأت عوامل اليأس تدب إلى قلبه وتدفعه إلى نسيان هذا الحب، ونفض يديه منه لولا ما يربطه بنعم من روابط قوية متينة تدفعه إلى التذكر دفعاً وتجبره عليه جبراً.

وَالْعَيْسُ لِلْبَيْنِ قَدْ شَتَّتْ بِأَكْوَارِ

9. رَأَيْتُ نُعْمًا وَأَصْحَابِي عَلَى عَجَلِ

لَمْ تُؤَدِّ أَهْلًا وَلَمْ تُفْجِشْ عَلَى جَارِ

10. بِيضَاءُ كَالشَّمْسِ وَافَتْ يَوْمَ أَسْعِدِهَا

## اللغة :

العيس: الإبل البيضاء، البين: البعد، الأكوار: جمع كور وهو الرحل، وافت: المراد ظهرت، يوم أسعدها: طلوعها في برج الصعود فهي ساطعة شديدة التألق، لم تفحش على الجار: لم تسيء إليه بكلمة بذيئة.

## المعنى :

يتحدث عن آخر عهده بنعم، وقد عزم على الرحيل، وكان رفقاء السفر في عجلة من أمرهم لم يتيحوا له فرصة الوداع الطويل، وكانت الإبل قد أعدت لسفر طويل وقد شدت عليها رحالها.

وما أجمل منظر حبيبته في هذا اليوم، لقد كانت بيضاء جميلة متألقة كأنها قرص الشمس اللامع في يوم سعودها فلا غيم يحجبها ولا غبار يظلل ضوءها، وذلك ما يشعل نيران حبه لنعم ويبقى ذكراها في قلبه قوية أبداً، وحق لها أن تكون كذلك فهي جميلة الظاهر والباطن، قد جمعت إلى الجمال الحسى الجمال المعنوى من سماحة نفس وكريم خلق يحمده لها الأهل والجيران الذين لم تؤذهم أو تسيء إليهم بقول أو بفعل.

لوثاً على مثل دِعْصِ الرَّمْلَةِ الهَارِي

11. يلاثُ بَعْدَ افْتِضَالِ الدَّرْعِ مِنْطَقَهَا

## اللغة :

الدرع: كساء مخطط تلتحف به في الجزء الأعلى من الجسم ويعنى الافتضال لبس ثوب واحد، يلوث: تلف، منطقتها: ما يؤتزر به وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من الجسم، والدعصس كوم الرمل

الأبيض، الهاري: المتهايل غير المتماسك.

**المعنى :**

أنه يقول أن هذه الحبيبة رائعة الجمال بالمقياس الجاهلى من  
البياض وامتلاء الجسم، فهي تلتحف ببردها ثم تلف مؤزرها على أسفل  
جسمها على أرداف ممتلئة مرججة كأنها كومة رمل غير متماسك.  
12. وَالطَّيْبُ يَزْدَادُ طَيِّباً أَنْ يَكُونَ بِهَا فِي جَيْدٍ وَاضِحَةٍ الْخَدَيْنِ مِعْطَارٍ

**اللفظة :**

الطيب: العطر ونحوه، والجيد: موضع القلادة من العنق واضحة  
الخدین: جميلة الخدين سهلتها أى ليس بهما تجاعيد أو بثور ونحوه،  
معطار: كثيرة التطيب لا تقصر فى ذلك قط.

ونظراً لأن هذه المرأة الجميلة تحرص على زينتها ونظافة جسمها  
فإن العطر يزداد طيباً وجمالاً عندما يفوح من جسمها وينبعث من جيد  
تلك الحسناء التى تتميز بخدين جميلين نقيتين، وتمتاز بين النساء بتعهد  
نفسها بالطيب، ولا تقصر فى استعماله.

13. تَسْقَى الضَّجْبِعَ إِذَا اسْتَسْقَى بَذَى أَشْرٍ عَذْبَ الْمَذَاقَةِ بَعْدَ النَّوْمِ مَخْمَارٍ

**المعنى :**

الضجيع من المضاجع من زوج وغيره، استسقى: طلب السقيا  
بريقها، ذو الأشر الفم: والأشر بضم الهمزة والشين: تحزيز فى أطراف  
الأسنان، عذب المذاقة: بعد النوم: أى أنه عذب الطعم فى الوقت الذى  
تتغير فيه الأفواه. مخمار: محبب إلى المقبل كأنه طعم الخمر وله رائحته  
أيضاً.

14. إِذَا تَغْنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ نَكَرْنِي

وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ

**اللغة :**

الورق من الحمام جمع ورقاء: وهى ما كانت رمادية اللون أم

عمار: كنية لنعم.

**المعنى :**

يقول عندما أكون بعيداً عن هذه المحبوبة غريباً عن ديارها وسمعت

الحمام الورق تتغنى فإن غناها يهيج أشجاني وكوامن أشواقى فأنا لا أنساها

أبدأً.

15. وَمَهْمَةٌ نَازِحٌ تَعْوَى الذَّنَابُ بِهِ

نَائِي الْمَيَاهِ مِنَ الْوُرُودِ مَقْفَارٍ

16. جَاوَزْتُهُ بَعْلَنْدَاةٍ مَنَاقِلَةٍ

وَعَيْثُ الطَّرِيقِ عَلَى الْحُزْنِ مِضْرَابٍ

**اللغة :**

المهمة: الأرض المقفرة، نازح: بعيد، نائى المياه عن الورد: أى أن

مياهه بعيدة عن طالبيها لا يهتدون إليها بسرعة، مقفار: أى قفر خال من

السكان. جاوزته: قطعته وتخطيت أرضه المقفرة، والعلنداة: الناقة

الشديدة، مناقلة: واسعة الخطو، الحزان: جمع حزن وهو ما غلظ من

الأرض وارتفع مضماره أى أنها خفيفة نشيطة ضامرة ليست بمترهلة.

**المعنى:**

أنه يتقل من وصف الأطلال والتغزل فى نعم التى مر بآثار ديارها

إلى الحديث عن شجاعته وجسارة قلبه وقدرته على تخطى الأهوال

والمخاطر بناقته التى سيسوق أوصافها، والتى كانت وسيلته فى تجاوز

الأهوال فى الصحراء، فيقول: "وإذا ما حدثت عن حبي وأشواقى ولواعج غرامي، فأننى أحدثك الآن عن طرف من أطراف شجاعتي وجسارة قلبي قرب صحراء بعيدة مخوفة لا بد من اجتيازها فى أسفارى البعيدة التى لا تكاد تتوقف، تمتاز بوحشتها وأنها مأوى للذئاب الضارية التى لا تكف عن العواء بسبب إقفار أرضها، وأن الجوع يكاد يهلكها، كما تمتاز بمياهها البعيدة التى لا يتيسر لمن يسافر فيها الحصول عليها فى مفازة مهلكة، هذه الصحراء لم أتهيب التوغل فيها بناقتى الصلبة القوية النشيطة الضامرة الجسم المدربة على الرحلات الطويلة، والتى تضرب بخطافها القوية المتسعة على الحجارة الصلبة فى الطرق الوعرة.

17. نَجْتَأُ أرضاً إلى أرضٍ بذى زجلٍ ماضٍ على الهولِ هادٍ غيرٍ محيارٍ

اللفظة :

نجتاز: نقطع، الزجل: المراد به الحادى الذى يحدو للإبل فى القافلة، هاد: خبير بطرق الصحراء، غير محيار: غير متحير لأنه يحفظ الطرق فلا يضل فيها إذا اتخذناه دليلاً.

المعنى :

وعندما نخرج فى رحلة مع قافلة مسافرة، فإننا نتخذ دليلاً ماهراً ذا خبرة بالصحراء وطرقها المجهولة المخوفة، وأنه ليحدو للجمال واثقاً من نفسه غير متحير ولا مضطرب فى الاسترشاد به.

والذى جعلنى أصف الزجل فى قوله "بذى زجل" بأنه جاد ما جاء فى بعض الروايات "نجاتب أرضاً إلى أرضٍ بذى وجل" والوجل: شدة

الصوت، وأرى أنه يقصد به الحداء<sup>(1)</sup>.

نَبَّ الرِّيَادِ إِلَى الْأَشْبَاحِ نِظَارٍ	18. كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ نَيْ جُنْدٍ
مِنْ وَحْشٍ خُبَّةٌ أَوْ مِنْ وَحْشٍ تِغَارٍ	19. مُطَرَّدٌ أَفْرِدْتُ عَنْهُ حَلَالَهُ

#### اللغة :

الجدد: بضم الجيم وفتح الدال: الخطوط البيض والصفير والرماد  
بذى الجدد الثور الوحشى المفرع الذى يتخيل أشباحاً يراها فينطلق مسرعاً.  
مطرّد: طارده الصيادون أو السباع فأنطلق سريعاً جداً فى عدوه  
حلاله: أنشاه من البقر، وأفردت عنه: خلى بينه وبينها بسبب مطارذته  
خبة وتعشار: موضعان.

#### المعنى :

أن الذى يرى ناقتى فى عدوها خلال الرحلة بها يتخيل أنه يرى  
ثوراً وحشياً مخططاً طارذته الوحوش أو الصائدون فانطلق يعدو سريعاً  
وهو من ثيران خبة أو تعشار المعروفة بشدة إجفالتها وسرعة عدوها  
وخفتها.

نَبَاتٌ غَيْثٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ مُبْكَارٍ	20. مُجْرَسٌ وَجَدَّ جَوْنٌ أَطَاعَ لَهُ
--	--

#### اللغة :

مُجْرَسٌ بضم الميم وفتح الراء المشددة: أى أنه يصبح مرة بعد  
مرة، والجرس: الصوت، وجون: ضخم قوي. أطاع له: نبات... الخ، اتسع  
له المرتع وطاب فهو يرعى فيه كيفما يشاء، مما يزيد فى سمنه وعافيته.

(1) راجع هامش جمهرة أشعار العرب، ص 190 تحقيق الجاوى.

نبات الغيث: الكلاً الناتج عن المطر الوسمى المبكر أول المطر  
الذى ينزل فى آخر الليل وأول الصباح فيكون غزيراً.

**المعنى:**

هذا الثور المطرد السريع فى عدوه الذى تشببه ناقتى فى خفتها  
ونشاطها أتيح له المرعى الهنيء المخصب فى أرض كثيرة الكلاً تسح  
عليها أمطار غزيرة، وهو يرعى كيفما يشاء فى هذه الأرض، لا  
يشاركه أحد ومن ثم فهو صحيح الجسم قويه وإن - ناقتى لكذلك -  
أيضاً ..

منها بحاصبٍ شفانٍ وأمطارٍ	21. باتت له ليلةٌ شهباءٌ تسفغهُ
---------------------------	---------------------------------

**اللفظة:**

ليلة شهباء: ذات برد وريح وأمطار، تسفغه: تضره وتحصبه،  
والحاصب: الريح إذا كان بها حصباء صغيرة، والشفان: الريح الباردة.

**المعنى:**

هذا الثور القوى النشيط الذى يسابق الريح فى عدوه مفزعا  
ينطلق مسرعاً من مكانه إلى مكان آخر فى ليلة ممطرة باردة شديدة  
الريح تحصبه وأمطارها وحببات ثلجها التى تشبه حبات الرمال.

وأسفر الصبح عنهُ أى إسفارٍ	22. حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته
عارى الأشجاع من قنّاص أنمارٍ	23. أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه
ما إن عليه ثيابٌ غيرُ أظمارٍ	24. مخالفاً الصيدِ تباغ له لحمٌ

**اللفظة:**

أسفر الصبح: بان وأنكشف، أمرى له: اتجه نحوه، قانص: صياد،  
أكلبه: كلابه التى يستخدمها فى الصيد، الأشجاع: عروق الكف

وكون الأشاجع عارية أنها ظاهرة لأن الرجل خفيف الجسم نشيط ليس بمترهل، أنمار: قبيلة معروفة بحرفة الصيد، محالف الصيد: محترف له مدرب على مزاولته، تباع له: يرتاد أماكنه ويتبعه، لحم: بفتح اللام وكسر الحاء: أنه نهم فى أكل اللحم يكثر من أكله، الأطمار: جمع طمر وهو الثوب الخفيف البالى.

### المعنى:

ما أن أصبح الصباح على هذا الثور المطرد المفزع حتى فاجأه صياد ماهر محترف من بنى أنمار يسعى إليه بكلابه المدربة، وقد بدأ عارى الأشاجع خفيف الحركة شبه عار لأن ما عليه من الثياب لا يكاد يستره، كما أنه مغرم بأكل اللحم لا يصبر عليه.

شكّ المشاعِبِ أعشاراً بأعشارِ	25. فشكّ بالرمح منها صدرَ أولها
بذاتِ فَرعٍ بعيدِ القعرِ نَعَارِ	26. ثم انتنى بعدُ للثانى فأقصدُه
من بابسِلِ عالمِ بالطَّعِنِ كَرَارِ	27. وأثبتَّ الثالثُ الباقي بنافذِةٍ
يُكْرَ بالرُّوقِ فيها كَرَّ إسوارِ	28. وظلَّ فى سبعةٍ منها لحِقنَ به

### اللغة:

الرووق: القرن المشاعب، النجار: يصل شعب الخشب المفارقة بعضها، الأعشار: المراد بها قدح الشراب الخشبى الذى صار عشر قطع فوصل بعضها ببعض، والضمير: فى أولها يرجع على الكلب الأول من كلاب الصائد، أقصده: قتله، ذات ثغر: طعنة متسعة، نعار: أى أن ثغر الفتحة الناتجة عن الطعنة يخرج منه الدم الشديد المتدفق محدثاً صوت كالشجر والثانى ثانى الكلاب، وكذلك الثالث ثالثها، وهكذا

وأثبتته أبقاه فى مكانه قليلاً، ولذلك سُمى الحنظل، "بَسْلاً" بفتح الباء وسكون السين، عالم بالطعن: مدرب عليه لكثرة دفاعه عن نفسه، بكر بالروق: يهجم الكلاب الباقية بقرنه القوى المديب، والإسوار: أحد الأساورة وهم قواد الفرس.

### المعنى:

إن الثور الوحشى الذى قصده الصائد بكلابه، والذى شبهت به ناقتى قوى شجاع له قرن مديب تعود أن يدافع به عن نفسه، ويطعن مهاجميه فى المقاتل وعندما أطلق الصائد عليه كلابه العشرة تحيط به وتقيده حركته تصدى لها ببسالة فائقة، حيث اتجه إلى الكلب الأول، فشكه شكة مزقت صدره كشكة النجار بآلته المديبة قطع الخشب ليؤلف بعضها إلى بعض فى قدح مجزأ فسقط الكلب مضرجاً فى دماؤه، وبسرعة فائقة اتجه الثور الشجاع إلى الكلب الثانى موجهاً إليه طعنة قاتلة اتسعت فتحتها، وتدفقت منها الدماء محدثة صوتاً، وكذلك فعل بالكلب الثالث حيث أثبتته فى مكانه قتيلاً بطعنة نافذة بقرنه كما يتعامل الأسوار المدجج بالسلاح الذى يعرف مقاتل مهاجميه.

وعاتٌ فيها بإقبالٍ وإبصارٍ	29. حتى إذا ما قضى منها لُبّاً ثباتتْ
يهوى ويخلطُ تقريباً بإحضرارٍ	30. انقضَّ كالكوكبِ الدرى منصلتاً
طولُ السرى والسرى بَعْدَ إِبْكارِ	31. فذلك شُبُه قَلْوُوصى إذ أَصْرَّ بها

### اللغة :

اللبانة: الحاجة، انقض: هوى، منصلتاً: مسترسلاً، والاسترسال

العدو فى سرعة، يهوي: يخرج من المعركة، التقريب والإحصار: نوعان من العدو القلوص للناقة الشابة التى لم يتعرض بمتاعب الحمل بعد. السرى: السير بالليل، والأبكار: السفر وسط النهار وأوله.

### المعنى :

أن الثور الشجاع المدرب على مهاجمة الخصوم وتوجيه الطعنات النافذة إلى مقاتلها بعد أن قتل الكلاب العشرة واحداً واحداً أقبل وأدبر عليها بكر بالانتقام منها ثم انصرف يجرى بسرعة البرق خشية أن يلحق به الصائد ولكنه على كل حال مخلوق من دم ولحم فنجاحه وانتصاره فى معركته مع الكلاب ونجاته من شرها وقضاؤه عليهم جميعاً قد ألحق به التعب والإعياء نفس الشيء الذى تعانیه ناقتى النشيطة القوية من كثرة ما تواجهه من متاعب السفر أول النهار ووسطه وخلال الليل.

### تأملات فى القصيدة :

عاش الجاهليون فى جزيرتهم المترامية الأطراف حياة قلقة مضطربة ينعدم فيها الاستقرار بسبب غلبة طابع الحياة فى الصحراء على هذه الجزيرة التى كانت أرضاً مجدبة تتعدم فيها مقومات الحياة الزراعية التى يستقر أصحابها بها، فيبنون المساكن ويفجرون الأرض عيوناً ويفلحونها فتجود بالزروع والثمار، فلا يبرحونها إلى سواها ولا يفكرون فى النقلة عنها، فإذا فعل ذلك بعضهم فإنما هو حادث طارئ، وسبب ملح لا يلبث أن يزول فيعودوا أدراجهم إلى جناتهم الوارفة وظلالهم الظليلة فى موطنهم الأصلي.

كما كان العهد ولا يزال بالنسبة لأهل مصر والشام والعراق  
مثلاً من تلك البلاد الخصبة التي هي في واقع الأمر جنت تجري خلالها  
الأنهار.

نعم لم تكن الجزيرة العربية كذلك؛ بل كانت أرضاً مجدبة  
قاحلة تقل فيها الأمطار وتتعدم الزراعة ويندر فيها وجود المدن والقرى  
التي تبنى فيها المساكن وتقوم فيها الحياة مستقرة هادئة عمادها  
التجارة كمكة، أو الزراعة كبلاد اليمن في الجنوب والطائف في  
الوسط وبعض الأماكن المتاخمة لبلاد العراق والشام.

ومن ثم فإن حياة الكثرة الكاثرة من سكان الجزيرة العربية  
التي ضنت عليها السماء بالماء فحرمت أرضها من الزراعة كان عماد  
حياتهم لبن الماشية ولحومها، ولا سيما الإبل يرعونها متبعين بها مساقط  
الغيث ومنابت الكلاً من واد إلى واد. فلا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار،  
وإنما هم في نصب دائم وقلق مستمر لا يحطون الرحال في مكان إلا  
بمقدار ما تتاح لهم فرصة الرعى والري، ثم يشدون بها إلى مكان آخر  
يتوفر فيه ما حرمتهم الطبيعة القاسية إياه في المكان الأول غير عابئين  
ولا متأثرين ببكاء إبلهم وشكواها ما تعانیه من ذلك البلاء.

إذا ما قمت أرحلها بليل      تأوه آهة الصب الحزين  
تقول إذا درأت لها وضيئي أذلك      دينه أبداً وديني

## أكل الدهر حل وارتحال أما يبقى على ولا يقيني<sup>(1)</sup>

فهو كما ترى يصور مشاعر ناqqته التي دأبت على الرحلة وألفت السفر حيث تن وتتوجع إذا أحست بقربه من مناخها ليلاً يريد أن يهيئها للسفر متقدماً إليها بالوضين يضعه على ظهرها متسائلة فى ألم: أليس من عادة يعتادها سوى السفر يعذبني به ويكسر ظهري، وهل يعقل أن تكون أيام الحياة كلها حلا وارتحالا... ثم ألا يفكر صاحبي هذا فى ويدعنى هادئة لينقذنى ويستبقى حياتي ؟

هكذا كانت حياة عرب البادية العربية الجاهلية حل وارتحال وقلق واضطراب فى فجاج صحرائهم الواسعة التي تكاد تساوى قارة بأكلها، يحفزهم حب البقاء إلى تجشم المتاعب، وركوب الأخطار بأذلين فى سبيل ذلك المهج والأرواح دفاعاً عن بقائهم إذا ما اقتضى الأمر فلم تكن الحياة لتصفو حول المراعى دائماً، وإنما كانت توجد منغصاتها من قبيلة منافسة، أو لصوص مهاجمين، وعندئذ تشتعل الحروب وتسيل الدماء، ويكتب البقاء للأقوى...

والإنسان الذى فطره الله - تعالى - على أن يكون مدنياً بطبعه، منجذباً إلى أبناء جنسه يألفهم ويألفونه، ويرتبط معهم بعلاقات وثيقة، لاسيما بين الذكر والأنثى، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

(1) أرحلها: أضع عليها رحلي، الصب: العاشق، درأت الوضين: دفعته نحوها، والوضين البطانة التي توضع على ظهر الناقة تحت الرحل، الدين: المقصود به العادة المتبعة، يقيني: ينقذني، الذوائب: جمع ذؤابة وهي الشعر مضفور، والبهيم: بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهي صغائر الضأن.

ذَكَرٍ وَأَنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا<sup>(1)</sup>، هذا الإنسان من طبيعته حب الاستقرار والتآلف فى أعماقه والرغبة القوية فى التواصل والارتباط بالآخرين، فإذا فرضت عليه ظروف حياته التشتت وقضت عليه بالغرابة، والتمزق النفسى من جراء ذلك فإنه يظل طوال عمره أسيراً لتلك اللحظات الطيبة الجميلة التى سعد فيها بقرب من أحبها فؤاده، وتعلقت بها نفسه، وربط بينه وبينها المرعى بأقوى الروابط، وأعمق الصلات، ولا سيما إذا كان ذلك فى أيام الصبا وغضارة الشباب كما يقول مجنون ليلى محاكياً الأقدمين:

تعلقت ليلى وهى ذات ذوائب

ولم يبد للأقوام من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا

إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهم

وإذا كان العاشق المحب شاعراً فإن عاطفته تضطرم وجوانحه تستعر حباً وحنيناً ويظل للعهد ذاكراً وبالمحبوب متعلقاً، وبكل صغيرة وكبيرة من ذكرياتها محتفظاً، فما أن تتاح له فرصة يرو فيها شيئاً من هذه الذكريات إلا ويخفق قلبه وتهيج مشاعره وتتمثل له صورة تلك المحبوبة من جديد كأن لم يضرب الزمن بينهما ضربته، ولم يباعد بينه وبينها فى الزمان والمكان.

فيقف بآثارها باكياً حزيناً، يذرف الدمع ويسترجع الذكريات

بصورة يشفق عليها معه رفقة سفره ويخيل إليهم أنه هالك لا محالة إذا ظل

(1) سورة الحجرات، آية (13).

على تلك الحال فيعزونه وينصحونه بالتحمل والصبر وأن ينصرف عن هذا  
البكاء الذي لا يفيد.

يقول امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم

يقولون لا تهك أسى وتجمل

فدع عنك شيئاً قد مضى لسبيله

ولكن على ما غالك اليوم أقبل

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ورؤية أطلالها وآثار ديارها أعادت  
إلى وجدانه صورة يوم رحيلها الذي كان من أقسى أيام حياته، حيث ظل  
دمعه ينهمر غزيراً، كمن ينقف ثمار الحنظل، وأن هذه الدموع لتسيل  
بغزارة حتى تبلل محمله.

كأنى غداة الروع يوم تحملوا

لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فسالت دموع العين منى صباية

على الرحل حتى بل دمعى محملي

وبعد أن يقضى الشاعر ليلته من البكاء والتأثر، ويوفى أطلال  
حبيبته حقها عليه من الإهتمام بها والوقوف عليها تعود إليه رباطة جأشه  
وهدوء نفسه شيئاً فشيئاً فينصرف عن البكاء وذروف الدموع إلى  
تذكر أوصاف حبيبته الجسدية وما كانت تتمتع به من جمال حسى  
تمثل فى بياضها وصفاء بشرتها وضخامة جسمها وامتلأه إلى جانب  
عذوبة ريقها واهتمامها بطبيها وزينتها الخارجية.

هذا.. فوق ما منحه الله لها من زينة معنوية تتمثل فى عفة اللفظ  
وسماحة الأخلاق، وهذه كلها مقاييس الجمال الأثوى فى نظر الشاعر  
الجاهلي.

ولست أرانى بحاجة إلى أن أعيد عليك ما ورد فى ذلك من أبيات  
النص مرة أخرى فأرجع إليها، وقصائد الشعر الجاهلى حافلة بتلك  
الأوصاف التى تجعلك مطمئناً إلى أن النابغة فى حديثه عن أطلال نَعْم  
وحديثه عن أوصافها الحسية والمعنوية إنما كان يردد ما ذكره امرؤ  
القيس قبله وما سار عليه الشعراء واعتبروه تقليداً فيما بعد.

والشاعر المداح المتكسب بشعره يتخذ من الناقة حمولة ومركباً  
وصاحب سفر، لأنها وسيلته التى يستعين بها على اجتياز المفاوز وقطع  
الفيافى بغية الوصول إلى الممدوح، فهى لا تقل منزلة عنده من "نَعْم"،  
فإذا خلع على نَعْم أجمل ما تتحلى به إحدى بنات حواء من صفات،  
فإن الناقة كذلك يجب أن تتصف بما تتصف به النوق المثالية من قوة  
وخفة وسرعة ونشاط ومهارة فى تخطى الأماكن المجهولة فى الصحراء،  
مثلها فى ذلك مثل الثور الوحشى الذى يفلت من أمهر الصائدين ويقضى  
على كلابه واحداً فواحداً.

ويمكن القول بأنه لم يكن أعز على العرى بعد الزوجة أو  
العشيقة من الناقة أو الحصان.

والشاعر المحترق الجوانح المهتاج المشاعر الخاضع لمقتضيات

الحياة الصحراوية القاسية من القلق والاضطراب والحرمان من ممارسة الحب الأمن المطمئن . كما عرفنا . يجد فى الوقوف على أطلال محبوبته متنفساً ومخرجاً ، أو قُلْ يجد فيه هروباً بمشاعره مما هو فيه من حرمان ، ومن ثم وجدناه يهتم بهذا الغرض الشعرى ويجعله جوهرياً فى قصائده فلا تكاد تتفتح قصيدة إلا له مهما كان غرضها ، إلا فى القليل النادر . وقراءتنا لقصائد شعرنا الجاهلى تعطينا الدليل القوى على هذا .

وإذا كان الشعر ديوان العرب . كما يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . رضى الله عنه . وكان الشعر الجاهلى بأنماطه وتقاليدِهِ ولوازمه وتعبيراته هو النموذج الذى يجب أن يحتذى ويسير الشعراء على منهجه ويبدلون قصارى هم فى اقتفاء أثره وتقليد أصحابه ، بحيث يعد من يخرج على هذا النهج مقصر فى نظر نقاد الشعر والمقصدى لتقويمه والحكم عليه فقد ظلت القصيدة العربية التقليدية منذ العصر الجاهلى وإلى ظهور المدارس التجديدية الحديثة التى بدأها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وعبد الرحمن شكري ، فيما عرفه بمدرسة الديوان .

منذ ذلك العهد السحيق والقصائد الشعرية فى جميع أغراضها تبدأ بالغزل والوقوف على الأطلال أو تكلفاً وتخيلاً ، لا لشيء إلا المحافظة على النهج الشعرى القديم وإرضاء أذواق النقاد المتمسكين

بضرورة السير على هذا النهج، بصورة جعلت المتنبى يضيق ذرعاً بذلك  
ويدعو إلى حرية الشاعر فى ابتداء قصيدته فلا يقف على طلل إلا إذا  
كان عاشقاً حقاً، وسمع إليه يقول :

إذا كان شعر فالنسيب المقدم  
أكل الذى قد قال شعراً متيم.